الوجود – القلق – الموت – في العالم
بين هيدجر وكامي

أ.م.د. حنان علي عواضه
جامعة بغداد – كلية الآداب – قسم الفلسفة
hananali@coart.uobaghdad.edu.iq

الملخّص:

تدور فكرة البحث حول الوجود والقلق والموت عند الفيلسوفين هيدجر وكامي ، فهذه الصّفات قد تغلغلت في حياة الإنسان ، هيدجر رأى أنّ الإنسان مقذوف بهِ في هذا العالم . أمّا القلق وهو الذي يكشف سر وجودنا ويعرّفنا بهذا العالم اللامعقول ، ونظر للوجود نظرة تشاؤميّة. أمّا من ناحية الموت فقد ربط بينه وبين الهم وكلاهما ظاهرة معقّدة . أما البير كامي فقد نظر إلى الوجود نظرة أقل تشاؤميّة من هيدجر ، وعلى الرّغم من وجود الإنسان العبثي في هذا العالم ألا إنّه هو الوحيد الذي يمتلك خاصيّة الوعي ، أما القلق عند كامي فهو قد وصف القرن العشرين بأنّه قرن « القلق والخوف » ، وقد اتّفق كامي مع هيدجر على أن الموت في النّهاية هو الذي يشكّل نهاية الحياة.

الكلمات المفتاحيّة :
الموت ، اللامعقول ، الكائن ، القلق ، الوجود ، الإنسان المتمرّد ، الكينونة ، الآخر ، العالم ، الدّزاين.

المقدمة :

يدور هذا البحث حول فكرة الوجود والقلق والموت بين الفيلسوفين الألماني « مارتن هيدجر « Martin Heidegger (١٨٨٩-١٩٧٦) ، والفرنسي ألبير كامي Albert Gamus (١٩١٣-١٩٦٠) .. فكان كل منهما قد أظهر فلسفته عن ماهية وجود الإنسان Humman.. إن هذا الوجود أساساً غير أصيل ، فهو وجود من أجل الموت ووجود نحو الموت .

وإذا ما تناولنا فكر هيدجر فإنّه ذو أَفكار قاسية ، وقد ركّز على السّقوط في الوقوع في الثّرثرة والهم ، وبالتّالي يقع الإنسان في حياة مزيّفة (غير أصيلة).

هذا وإنّ الفيلسوفان قد بحثا في « الوجود الأصيل « تركّزت فكرة هيدجر في السّقوط ، ان الإنسان قُذف به في هذا العالم « عالم الأشياء « ، والوجود الأصيل لهذا الفرد لا يمكن أن يتحقّق إلّا بالموت ، وعند ألبير كامي لم يقم أي من البشر بتجربة الموت .. في الوقت الذي عبّر عنها بشكل « أبْسوردي « (لا معقول) ، وكامي الذي يُعد أقل تشاؤماً في فلسفته من هيدجر ، على الرّغم من أنه – فيما بعد – قد تذوّق الموت شخصياً في حادث سيارة مروّع .

إنّ هذا العالم فيه الهم أو الانشغال وهما اللذان يعرّفاننا بالقلق الوجودي الأَصيل ، وأكّد هيدجر في مؤلفاته المتعددة بشكل أكبر من كامي على واقع الحياة المزّيفة ، إذ أن الإنسان قد ألقي به في هذا العالم من دون إرادته ، وفي الإنسان المتمرّد عند كامي وجدنا النهايّة نفسها .

المُشكلة : إن المُشكلة التي سوف نطرحها هي العلاقة بين الإنسان والعالم أي وجود الإنسان - في- العالم. وهل القلق يعرّفنا على عالم الأشياء عند هذين الفيلسوفين ؟ وما علاقة الوجود - في - العالم ، أو وجود الدّزاين بفكرة العدم عند هيدجر ؟ وماذا يهدف كامي من قوله بفكرة الأبسورد أي اللامعقول ؟ ، وكيف استطاع تفسير الوجود – في - العالم ؟ وماذا يعني هيدجر بتفسيره لنوعين من العوالم ؟ وكيف تصوّر وفسّر كلاهما فلسفة الموت وتحليلهما الوجودي له .

الهدف :

يهدف هذا البحث إلى كشف جوهر فكرة الوجود عند كلٍ من هيدجر وكامي ، لاسيّما فكرة القلق في وجود الإنسان-

في – العالم . وما يتبعه من أفكار أساسيّة وهي : فكرة اللامعقول والقلق والعدم والوجود والموت ... .

المنهج :

استخدمنا (المنهج المقارن) بين الأفكار الوجوديّة لـ هيدجر وكامي ، فيما يخص الموت، الوجود ، والقلق .

على أية حال ، إنّ الفيلسوفين وجوديّان بمعنى أنهما أكّدا على وجود الإنسان ، ولكن على أساس قائم على القلق ، ولم يقتربا طبعًا من عالم الميتافيزيقا .

أولًا - القلق والخوف من حالاتِ الوجود الإنساني :

القلق Anxiety والخوف fearمن الانفعالات الإنسانيّة الأساسيّة، وهما مترادفان ، أو مرتبطان تبعاً لوجهات النّظر السّيكولوجيّة. برزت المشكلتين القلق والخوف منذ القدم، وظهر ذلك عند المصريين في الكتابة (الهيروغليفيّة) المصريّة القديمة . كما تكلم عن ذلك العالم العربي ابن حزم (٩٩٤- ١٠٦٤) الذي عدّ القلق حالة أساسيّة من حالات الوجود الإنساني. كما بحث العديد من الفلاسفة الغربيين المُحدثين مُشكلة القلق مثل باروخ إسبينوزا Baruch (Spinoza (1632-1677 ونيتشه Ni-estzsche (1844-1900)، وسيرين كيركيجارد Siren Kierkegaard (1813-1855) وشوبنهور (١٧٨٨-١٨٦٠) Schopenhauer وأغلب الفلاسفة الوجوديين منهم : مارتن هيدجر وألبير كامي ... .[١]

وهناك كثير من الفلاسفة القدماء فسّروا القلق على أساس الخطيئة ، وكانوا يربطون بين القلق والخطيئة ، فالإنسان يقلق عندما يرتكب خطيئة ما ، وأنّ الشّعور بالقلق يختفي حالما نطمئن إلى عفو الله وغفرانه .

أما الفلسفة الوجوديّة existential-ism عند هيدجر فإنّ القلق هو الذي يعرّفنا على عالم الأشياء، وهذا يؤدّي بنا إلى العنصر الأصلي في وجودنا ، ألا وهو الوصول إلى الإمكانات التي تتطلب التحقيق .[٢] وقال : فالموجود بأسره قد انزلق وحاصرنا القلق من كُل مكان حولنا ، وهذه العبارة تنطق بِفعل الوجود ، وتصمت في حضرته . من هنا نجد أن القلق عند هيدجر يصنع الوجود ، بمعنى أن الكائن أو الإنسان لا يشعر بوجودهِ الحقيقي إلّا من خلال هذا الشّعور ، أي الشّعور بالقلق ، الذي يتغلغل في وجوده كله، ويشعره بحقيقة وجوده، الوجود المؤلم . فالقلق ، لا يعني الجَزع الشائع

بين النّاس ، الذي يحوي بطبيعته على استعداد للخوف ، فالقلق يختلف تماماً عن الخوف ، فنحن إذا عاينّا الخوف كما رآها هيدجر ، فإنه يكون دائماً أزاء هذا الموجود « المعيّن « أو ذاك الذي يُهددنا ، بشكل محدد ، أو غير محدد ، فالخوف دائمًا خوف من « أجل « شيء معين .[٣] وبرزت مُشكلة « القلق « في القرن العشرين وأصبحت موضوعًا مسيطرًا على حياة الإنسان الحديث بصورة عامّة ، ووصف « ألبير كامي « القرن العشرين أنّه « قرنْ القلق والخوف «.[٤]

والملامح السّيكولوجيّة بين القلق والخوف هي كالتّالي :

وجهة المقارنة	القلق	الخوف
الموضوع	غير معروف	معروف
التّهديد	داخلي	خارجي
التّعريف	غامضْ	محددْ
الصّراع	موجود	غائبْ
الدّوام	مُزمن	حاد .[٥]

إنّ القلق هو الوجدان أو الحالة الوجدانيّة الأساسيّة التي تكشف عن العدم nothingness . وانتهى هيدجر إلى أنّ العدم هو الأساس في السّلب ، ثم هو الشّرط في الوجود being ، وأنّ العدم عُنصر داخل أساساً في تركيب الوجود وليس شيء مُضاف أو مجرّد تصوّر منفي لمعنى الوجود « .[٦] وفي المقابل نجد أنّ القلق لا يكشف عن الوجود إلّا إذا كشف عن العدم ، ولكنْ لا يتم ذلك إلّا إذا عرفنا معنى العدم ، ولكن الإنسان يرى في القلق هوّة أو مسافة للعدم ، لابتلاع وجودنا بأكمله، عندها نشعر أنّ جميع الأشياء في العالم انزلقتْ من أَيدينا ، وكأنّ الوجود دَخل في ثغرة يصعُب علينا رؤيته من جديد .[٧]

كما أنّ المتواجد (الدّزاين) Dasein يَحوي « الوجود الحاضر « ، أو الوجود مقابل اللاوجود كما يحوي على سُمو ترنسندنتالي (متعالي) وهو العدم ،

فالعدم ليس فقط مقولة « أُنطولوجية « عند هيدجر تأتي أولاً، وليس عمليّة السّلب المنطقي تكون هي أَساس هذا العدم الترنْسندنتالي ، بلْ العدم يعد تصوّراً أنطولوجيّاً مصاحب للمتواجد في أَغلب الأحيان .[٨] فالعدم عند هيدجر ، ليس هو الانعدام أو الموت، كما هو شائع عن هذا اللفظ ، إنما هو حالة يشعر بها الكائن (الإنسان) في أَعماقه . فالشّعور بالعدم إذن هو جزء من الوجود الإنساني ذاته . والدّزاين عند هيدجر هو الموْجود العيني الفردْ ، إذ يكون على عَلاقة دائماً بالوجود مع الآخرين .

إنّ الأشياء تتلاشى في هذا الوجود - في - العالمْ نتيجة القلق ، بما في ذلك الموجود نفسه (الدّزاين) ، إذ يصعب عليه أن يجد نفسه في العالم world ، وبسبب ذلك يرجع إلى نفسه بكامل حريته وإمكانه . فالقلق يجعل من « الدّزاين « وجهاً لوجه أَمام وجوده وآنيّته من أجل أصالتهما .[٩]

ولكن نجدْ كامي في موضوع القلق انتقد هيدجر ووصف مناقشتهُ للقلق أنّ فيها نوع من البرود ، وقال في أسطورة سيسيفْ : « يخلص من مناقشته إلى أنّ وجوده وجود لا واقع فيه إلا « القلق « . ويتحوّل هذا القلق لدى الإنسان التائِه في زحمة العالم وتلاهيه إلى خوْف قصير عابِر . لكنْ هذا الخوف لو وعى ذاته لصار كَبَدا ... ، وهو المناخ الدّائم الذي يسكنهُ إنسان اللامعقول « الذي يتركز فيه الوجود « « .[١٠] إننا نعي رأي كامي في إحضارهِ لأسطورة يونانيّة قَديمة والتي يهدف منها توضيح فكْرة الوجود القلق ، بل الوجود المصنوع من القلق ، بمعنى أنّ سيسيفْ الذي يظل يدفعُ الصّخرة إلى قمّة الجبلِ وثم ينزلها ويبقى كذلك إلى الأبد .. وكأنّه يريد القول أنّ وجود الإنسان وجود قلق طوال حياتِهِ ، مثلما يعمل سيسيفْ طوال حياته ، بعد أنْ حكمت عليه الآلهة بالصّعود إلى الجبل والنّزول مرّات ومرّات إلى الأبد، فالإنسان طالما هو حيّ فهو يشعُر بالقلق ، وبالتّالي هذا العالم لا معقول .

تكلّم كامي عن الحريّة وربطها مع القلق فقال : إنّ شرط الثّورة على الأبسورد absurd (اللامعقول) هو الحريّة ، وإنّ الإحساس بالحريّة هو إحساس بالمسْؤوليّة تجاه وجودنا ووجود الآخرين . الحريّة والمسؤوليّة يورثان القلقْ ، الذي يملأ الإنسانْ إحساساً بالحياة . فالإنسان يطلب البراءة والوضوح بعد هذهِ الثورة ضد اللامعقول . بعد ذلك يستطيع الكائن أنْ يقول لا ، فكل شيء يناقض الوضوح

والبراءة ، وهنا لا يتكلم كامي عن الحريّة المطلقة ، فهو لا يطلب الحريّة المطلقة ، الحرية التي يسعى إليها هي حرية الفعل ، ليس الفعل في المستقبل ، بلْ يطلب الحاضر .[١١] ولكنْ هل يوجد فرق بين القلق والخوف؟ في الحقيقة هناك فرق بين الإثنين . فنحن عندما نخاف يُمكننا تحديد موضوع خوفنا، أو يمكننا أن نعرف سبب خوفنا. أما القلق فليس له موضوع محدد ، فالإنسان دائماً يشعر أنّ هناك خطر يهدد حياته ، لذلك يشعُر دائماً بِالقلق . القلق مرافق لنا مثل ظلنا . نحن إذا سألنا عن سبب قلقنا ، فإنّنا لا يمكننا الإجابة ، فلا يمكننا تحديد سبب أو علة لهذا الشعور بالقلق . فجميع البشر لديهم هذا الشّعور، لا يوجد شخص في هذا العالم معفى منه - أي الشّعور بالقلق .[١٢]

إلا أنّ القلق يتميّز عن الخوف ، فالقلق أثناء سيطرته علينا ، نشعر أنّ الخطر يهدّدنا دائماً ، ألا إنه يكون غير ملموس ، خفي hidden وغير محدد لنا ، لأنّ مصدر القلق خارج عنّا ، فهو يأتي إلى نفوسنا من العالم ، ولأننا أيضاً موجودون في هذا العالم ، فالقلق يظهر باستمرار للمتواجد (الإنسان) لأنه كينونة – في – العالم . فهذه الكينونة beingدائماً تسبق نفسها في الزّمان والمكان ، قالقلق هو وجود الإنسان وكينونته .[١٣]

ثانيًا - علاقة القلق بالهم:

الهم أو الانشغال هو صفة من صفات الوجود في الفلسفة الوجوديّة ، والمقصود هنا الانشّغال بحياتنا الاجتماعيّة اليوميّة ، وهذا الإنشغال يصرفنا عن الشّعور بالقلق الوجودي الأَصيل ، وبذلك يظل الإنسان عبداً للحياة اليوميّة التّافهة ، فلا يشعر بوجوده الخاص أو بفرديّته المتميّزة ، بل يبقى مجرد آلة اجتماعيّة . فحينما يتحدث هيدجر عن القلق ، فهو هنا لا يتحدّث عن مفهوم عقلي ، أَو تصوّر ذهني ، موضوعي ، بل يتحدّث عن مفهوم ذاتي ، وعن خبرة مُعاشة ، في حياة كل فرد فينا، هذه الخبرة تكشف لنا عن وجود الهم care في حياتِنا ، وتجعلنا أَمام العدم وجهاً لوجه ، والعدم يُعَدْ الحياة الأصيلة التي تكمن وراء وجودنا . ويعطي للعدم دلالة وجوديّة – في – العالم ، تجعله دائماً يقِظاً ومستبعداً للإرتداد إلى ذاته وعواطفه ووجوده وحياته الأصيلة ، على الرّغم من أن الذّات لا تخرج عن كونها إمكانيّة من الإمكانات التي تحدث عنها ، وهي إمكانيّة عارية (مجردة) للوجود .[١٤] هناك ربط وجودي بين القلق والهم

عند هيدجر ، ويسمّيها خبرة الإنسان ، من خلال وجوده القلق في هذه الحياة ، أوْ في وجوده في الحياة . والقلق ، إذن ، خبرة مُعاشة – في رأيه .

يرتبط القلق... ارتباطاً بِظاهرة الهَمْ ... وتلك خاصيّة من أشملْ خصائص الحياة البشريّة فهي في الموت نفسه حياة « هَمْ « وحياة « اهتمام « ، والهم أيضاً ظاهِرة مُعقدة ، فهو يجعل الإنسان يندفع إلى الأمام في اتّجاه إمكاناته وما يؤدّي إليه من توتر مع الظّروف والحدود الواقعيّة لحياته ، والتي يأتي بها مع سقوطه، وبهذه الفكرة الخاصّة للهم يتّفق بها مع كيركيجورد الذي يعد القلق مُصاحباً لحياة السّقوط ، مع تزايدِهِ على الدّوام تغلغلاً وانتشاراً خلال حياة البشريّة .[١٥]

رأَى هيدجر أنّ القلق يظل متوارياً وراء ظواهر « الهم « أو الإنشغال بحياتنا اليوميّة العاديّة ، وهذا « الهم « يبعدُنا عن الشعور بالقلق الوجودي الأصيل ، وبالتالي فالآنية تستغرق في الأشياء في عالم الإنشغال وتغرق في « الهم « ولا تذهب إلى ذاتها .. وتصبح تحت تأثيره ... فالآنيّة أو الوجود الإنساني يفهم نفسه من خلال إملاءات الناس التي تحجُب أصالتها ، وتصوّر أُسلوب وجودهم هو وحده الأسلوب الأصيل.[١٦]

إذن يظل الإنسان مشغولاً عن وجوده ويجهل حقيقة الوجود الأصيل ، ويكون ذلك الجهل ليس عن وعي ، بل بسبب الانشغال في أمور الحياة التي تفرض عليه ذلك . وفي الأغلب أنّ الإنسان يبقى في مجال الوجود المبتذل الزّائف تحت ظل تأثير الظّروف الاجتماعيّة من عادات راسِخة في المجتمع .. وفي هذه الحال يظل « القلق « موجوداً ، لأنّ الإنسان يظل منشغل بمستقبله ومستقبل أطفالِهِ والحياة اليوميّة الاعتياديّة ، ويظل منشغلًا مع الآخر ، وعلى هذا الأساس من التّفسير وجد هيدجر أن الهم والانشغال يصرفنا عن الشّعور « بالقلق الوجودي» .[١٧] وعلى الرّغم من الانشغال في أُمورنا الدّنيا – من خلال الوجود – وإنّ الإنسان يندمج في تدبير حياته العمليّة والصّحة والطّعام ، والانْشغال ببناء مستقلّة .. وقد يكون هذا هو الابتعاد عن الشّعور بالقلق .. وإنّ القلق أصيل في هذا الكائن ومن طبيعة وجوده ، والّذي يسمّيه هيدجر « بالقلق الوجودي « .. أي أنّ الإنسان يبقى قلقاً على الرّغم من انشغاله بأمور الحياة .

ثالثًا : وجود الدّزاين – في- العالم :

انتقد هيدجر العديد من المفكرين والفلاسفة السّابقين الذين ركّزوا على دراسةِ الوجود بالمعنى التّقليدي ، ونسوا الموجود الذي هو الإنسان ، وعدّ ذلك فشل ، فجميع الفلاسفة الوجوديّون ومنهم هيدجر أرادوا كسِر طبقة الجليد – إذا جاز التّعبير – التي تحيط بفهمْ الإنسان ، وعدّ ذلك خطأً وقع فيه هؤلاء ، وعدم الاعتراف منهم بالفارِق بين الوجود والأشياء الموجودة في العالم ومنهم الإنسان نفسه.[١٨]

ورأى هيدجر أنّ وجود الإنسان في هذا العالم وجود مقذوف به في موقف تاريخي ، وهو موقف لا مفرّ منه ، وهو يُساعده في تحصيل حريّته وحمايتها ، وما عليه إلا أنْ يقبل هذا الموقف التّاريخي الوجودي بملء إرادته الحرّة . والسّبب في ذلك هو أن البشريّة Humans عموماً لا تملك أي قُدرة في تغيير هذا المسير ، وما علينا سوى أنْ نجعله ملكاً لنا ، أي نحن فقط يمكننا أن نتحكّم بهذا الوجود – في- العالم . كما إنّ الإنسان مهما حاول تغيير هذا الموقف ، فإنّه لن يستطيع فعل ذلك ، وسوف يبدد طاقته ، وسيقضي كل حياته في ذلك ، ولن يستطيع فعل شيء.[١٩]

والوجود في هذا العالم هو وجود ليس لدينا من أمره شيئاً ، إنّما هو مفروض علينا – على الكائن البشري، أي لا يمكن تغييره – والّذي يسمّيه هيدجر وجودنا- في- العالم .

من هنا يجب أن ننظر إلى وجودنا – في – العالم ، ليس من النّاحية الأنطولوجيّة ، إلّا حين تكون ظاهِرة هذه « الكينونة – داخل – العالم، قد وضحت بما هو عنصر بنيوي جوهري في الكينونة – في – العالم، فهي من ناحية أُنطولوجيّة مُثبّتة في الكل البنيوي لكينونة الدّزاين، الذي به تم تخصيص العناية».[٢٠]

ورأى كامي أن جوهر الوجود أو ماهية الوجود نفسه غير مفهوم ، يعتريه الغموض واللبسْ ، ولا يمكن لأحد أنْ يعلم به ، فالوجود بحد ذاته مُغلق على نفسه ، ولا يُمكن لأحد النّفاذ إلى داخلِهِ . لذلك الابسورد Absurd يبدأ كتجربة وجدانيّة فيقوم بمناقشتها وتشكيلها ، وفي النّهاية يُحدّدها على أنّها تجربة ذهنيّة.[٢١] إنّ جوهر الوجود عندَ كامي هو شيء يسمّيه (الأبسورد) أي اللامعقول.. ويقصدْ بذلك أن الوجود مغلق على نفسِهِ أي لا يمكن معرفته، أو أنّه حالة غير مفهومة . . وهذه هي طبيعة ماهيّة الوجود عنده .

كما أنّنا نجد أنّ هيدجر استخدم مفهوم آخر كان يعبّر فيه عن وجود هذا الكائن – في – العالم ، بمفهوم « الارتماء « sub-limation، بمعنى أنّ الإنسان قد رمي به دون إرادتهِ ، كما أنّه وجد نفسه مرمي في هذا الوجود ، وهذا هو بحدّ ذاتهِ موقف وجودي Existential position معيّن وخاص بكل فرد في هذا العالم .[٢٢] هنا نظرة هيدجر هي نظرة وجوديّة بحتة ومتطرّفة ومتشدّدة جداً تجاهْ هذا الموضوع .

كما أنّ هيدجر اختلف مع هوسرل في مسألة وهي أن فكرته عن « الإحالة « في هذا العالم والوعي الذي يشعر به الإنسان إنّما هو دائماً شعور بشيء ما ، وهذا الشّعور يجعله دائمًا أن يتصور وجوده - في - العالم Being- in – the world مجرد « ذاتيّة « منغلقة على نفسها، وأنّه موجود منذ البداية نحو العالم الخارجي . ولكن رأى هيدجر أنّ وجودنا البشري حقيقة منفتحة على الوجود العام والكبير والشّامل ، وهي حقيقة مليئة بكل عواطفه وميوله ومتّجهة نحو هذا العالم بكل إرادة وقوّة . إنّ الوجود الشّامل لا يمكن انكشافه أمام الكائن منذ البداية، على شكل « موضوع « object بعيد عن الذّاتية يمكن أنْ يتأمله ، بل هو وجود ينكشف منذ بدايته بشكل توتر واضطراب، بشكل غير واضح المعالم ، مشوّش con-fused ، مليء بالهم والقلق، لذلك يعد الإنسان الكائن الوحيد في هذا العالم يعد وجوده لا ينفصل عن الاهتمام وعن هذا الوجود، وطرح السّؤال دائماً عن وجوده – في – العالم .[٢٣] والوجود مع Being-with رأى هيدجر أنْ الدّزاين ليس تابعاً عديم الفائدة، وليس معزولاً في هذا العالم، فأنا لست الوحيد من جنسي، بل هناك آخرين مثلي.[٢٤]

لقد وجدنا أنّ ألبير كامي اختلف مع هيدجر إذ قال في أُسطورة سيسيف : إنّ مناقشة هيدجر لمشكلة وجود – الإنسان – في - العالم فيها برود ، إذ ركّز هيدجر على أنّ وجود الإنسان هو وجود لا واقعيّة فيه، ولا يوجد في حياته إلا القلق ، وأن وجود الإنسان محدود ومتناه .. كما أنّ كامي يعدد الأفكار التي طرحها هيدجر في وجود الإنسان، وفكرة القلق هي الفكرة الأكثر خطأً في فلسفته ، ويُعد أهم بكثير من المقولات الموجودة في هذا العالم . لدرجة أنّ هيدجر لم يفكر ولا يتحدث إلّا عنه . كما رأى كامو أنّ هيدجر لا يفرق بين الوعي awareness واللامعقول absurd، إذ أنّ الوعي هو

نداء للقلق، أمّا الوعي فهو صوت الكَبَدْ (مرارة الحياة) .[٢٥]

إنّ أول مقوّم من مقوّمات وجودنا في هذا العالم - حسب هيدجر- يختلف عما وجده سابقًا الفيلسوف الفرنسي ديكارت Rene Descartes (1596-1650) ويعني بذلك أن ما يميّز الإنسان إنما هو أولاً ، وقبل كل شيء ، انخراطه في عالم يمثل مجال اهتمامه ، ولا يتصوّر هيدجر « العالم « على أنه جوهر متميّز أو محل مكاني ، بل يتصوره على أنه بناء أونطولوجي للوجود البشري يعده كائناً « وسطًا « أو « مجال « . بينما أراد ديكارت أن يفسّر معنى العالم بالالتجاء إلى مفهوم المكان ، نجد هيدجر يقرر على العكس من ذلك أن مفهوم « العالم « هو الذي يحدد مفهوم « المكان « .[٢٦]

ماذا يعني هيدجر عن معنى الوجود للدّزاين في العالم؟ إنه لا يقصد الوجود بالمعنى العادي للوجود في الأرض أو الوجود في العالم المادي ، أو الوجود في الكون ، بل إنّ الإنسان موجود في العالم ليس من شيء محدد مكانيًّا . فعلى سبيل المثال وجود الماء في الكوب ، أي أنّ العالم ليس كوعاء مثل وعاء الماء ، إنما يفهم من كلام هيدجر أن وجود الدّزاين هو وجود معنوي أُنطولوجي .[٢٧] وقد أصبح واضحاً : إن هيدجر يعني بالوجود هو الوجود العام في مقابل اللاوجود ويعني به الدّزاين . وهذا الوجود مغمور بالقلق ، أي من طبيعة الوجود الإنساني أَنه قلق. يجب أن لا يغيب عن بالنا الطريقة التي تناول بها هيدجر للموضوعات المتعلقة بالوجود والدّزاين ، مثل موضوع الخوف القلق الوجود ... دائما تحليلاته في تطوّر ، وبالتّالي فإن خطوته الأولى هي النظر بأوسع نطاق في كيفية عرضه وجود الدّزاين في العالم .[٢٨]

فالعقل يعجز عن فهم العالم ، وهذا العجز في الحقيقة هو عجزي أنا عن فهمِهِ ، فالإنسانيّة في علاقتها مع العالم عاجزة وقلقة ويائسة . ومع كل هذا القصور للعقل لفهم العالم ، ألا إنّ كامي لا يؤمن بالعقل وما ينتهي إليه العقل من نتائج . فالعقل نفسه « لا معقول « وموقف الإنسان تجاهه لا معقول أيضاً ، لذا الحياة ليس لها معنى ، وأنّ العيش فيها عبث .[٢٩] وهكذا في رأي كامي أنّ العالم نفسه لا معقول ، مثلما العقل لا معقول . لذلك – وكما قلنا سابقاً – أنّه رأى الحياة نفسها لا معقولة .

رابعًا - بين العالم والإنسان (فجوة) :

لقد فرّق هيدجر بين نوعين من العوالم وهي : العالم الكبير البعيد عنا نوعًا

ما . وعالم الآنيّة وهو العالم الأقرب لنا ، وهو عالم المحيط بنا . لذلك قال في كتابه نداء الحقيقة : « إنّ عالم الأنية هو العالم المحيط بنا ، وإنّ هذا « المحيط « هو أقرب عالم من الآنيّة ، هكذا ينطلق البحث عن فكرة العالميّة من هذا الطّابع الوجودي المميّز للوجود اليومي – في – العالم ، كما نصل إلى « عالميّة « المحيط (أو ما يسمّيه هيدجر بالإحاطة) عن طريق التّفسير الأُنطولوجي للموجودات القريبة منا في داخل هذا المحيط «.[٣٠]

وهيدجر عندما يتكلّم عن وجود الإنسان– في – العالم ، لم يتكلم بشكل اعتباطي ، بل حلل الوجود بطريقته الوجوديّة ، فهنا لا يعني العالم الواسع ، إنّما العالم الصّغير المحيط به ، عالمه الشّخصي الذّاتي ، مصيره ، الوعي الذي هو دائماً في تطوّر .[٣١]

إنّ الانفتاح على العالم من قبل الكائن البشري ليس له شبيه عند الكائنات الأخرى ، هذا الانفتاح يسهّل عمليّة فهمه للآنيّة ، ويكون هذا العالم وما يحويه في متناول الآنيّة ، وهو نتيجة مرتبة على الحقيقة الموضوعيّة objective truth ، ومن المكوّنات الهامّة للآنيّة أنْ تفهم العالم .[٣٢]

وفلسفة كامي أيضاً قائمة على الأبسورد (اللامعقول) ، والأبسورد يقوم حول العلاقة بين الإنسان والعالم ، وطرح لهذا الموضوع هو طرح متشائم ، ورأى أنّ مطالب الإنسان تجاه العالم هي مطالب معقولة ومشروعة في مقابل العالم اللامعقول .[٣٣] والوجود عنده غير قابل للفهم ، ومن هذه العلاقة بين الإنسان وبين العالم ، رأى أنّ هناك عدم تطابق بين الإثنين ، واللامعقول ليس شيئاً في ذاته، لذلك أنّ الإنسان والعالم هما خارج هذا اللامعقول . فالعلاقة بين عقل الفرد والعالم هي علاقة شخصيّة، لذلك لا يمكن لهذه العلاقة الشّخصيّة أنْ تصبح عامّة.[٣٤]

إنّ هذه العلاقة بين الإنسان والعالم هي: بين مطالب الإنسان المعقولة وبين مطالب لا معقوليّة العالم ... إنها عرضيّة في الوجود ، لأنّها لم تكن أصل وجوده إنّما وجدت فيه . فالأبسوردية (اللامعقول) هي صفة من صِفات الوجود التي لا نعرف لها سبباً أنّها من ضمن نسيج الوجود للإنسان، الذي إلى الآن لا يعرف سبب دخولها في نسيج وجوده .[٣٥] المشكلة هنا، أنّ حياة الإنسان وكأنّها معقولة في ظواهر وجوده الشّخصي، إلا أنّ وجوده لا معقول أو بموجب رأي كامي أنّ نسيج وجود العالم لا معقول

أصلًا أي» أَبسورد». ووصف كامي وجود الإنسان في هذا العالم ، ولكن على لسان سارتر « بالغثيان « و» السّخيف « كما يصف الإنسان بأنّه لا إنساني .[٣٦] هنا كامي وكأنه ينقلب على الإنسان نفسه كما هو منقلب على العالم .

يشعر الإنسان تّجاه العالم وكأنّه يقابل قوّة وسلطان عظيميين ، وكل معرفة يعرفها في الأرض لن توفر له أي دليل ، ولا تشعره هذه المعرفة أنه عالمه ، بلْ هو عالم عجيب بِصفاته وقوانينه الكونيّة . ويقول كامي:» لو أَمسكت بالعالم خطًا خطًا بأصبعي فلنْ تزيد معرفتي به...[لذلك] لن أَستطيع...أن أحظى بالسّلام إلّا لو رفضت المعرفة ورفضت الحياة «.[٣٧] إنّ الإنسان ينتظر المعرفة بالأشياء في عالمِهِ الخاص، ويريد أن يفهم وجوده في هذا العالم ، ولكنْ عند كامي المعرفة لا تتوفّر للإنسان – أي المعرفة بوجوده الحقيقي .

إنّ وجود الإنسان في العالم هو بمثابة « تحديد أُنطولوجي « ontological definition ، من هنا رأى هيدجر أنّ كل ما قيل ونوقش من خلال الفلسفة حول وجود العالم الخارجي ، إنّما هو كلام ولغو فارغ لا معنى له ، إذ لا يمكن أنْ يكون ثمة وجود بشري ، إلا إذا كانت « الذّات الإنسانيّة « مرتبطة ارتباطاً مباشراً وقويّاً بحقيقة خارجيّة هي « العالم الميتافيزيقي « . بمعنى أنّه لا يوجد انفصال أبداً بين الإنسان والكون ، لذلك حاول أن يحطم الأُنطولوجيا القديمة ، والتحطيم لا يعني أن ننفي الماضي ، وإنّ كل الدّراسات الفلسفيّة التي كانت وما زالت تدور حول وجود العالم الخارجي (الفيزيائي)، هي مجرد كلام فارِغ ، والذّات الإنسانيّة لا يمكن أن تنوجد إلّا إذا ارتبطت بشكل جوهري بحقيقة خارجيّة هي « العالم « ، لذلك لا يوجد انفصالاً بين الإنسان والكون .[٣٨]

لذلك يجب : « عدم إذعان الكون لعمليّة التّعقيل التي يحاول الإنسان ممارستها معه . والنّتيجة هي أن يخرج الإنسان من التّجربة بأنّ الوجود غير مقبول ، وإنّ تجربته قاصرة عن إيجاد تفسير ، وإنّ بين التّجربة والتّعقيل توجد هوّة لا تُجتاز « .[٣٩] هنا كامي في هذه النقطة يعطي أمل لتفهم الإنسان للعالم ، فالإنسان عندما يقترب من فهم العالم يقلل الهوّة والغموض تجاه العالم .

لذلك نجد فسحة تفاؤل من كامي تجاه الإنسان ، وقال : على الرّغم من عبث الوجود للإنسان – في - العالم ، إنّه المخلوق الوحيد الّذي يمتلك خاصيّة

الوعي . وهي الخاصّيّة التي تميّزه عن بقيّة المخلوقات ، وهو بهذه الخاصّيّة يرى أنّه لا يوجد شيء مجهول أو غامض في هذا الكوْن ، فهو دائمًا يسعى نحو المجهول وسيأتي يوم هذا المجهول يصبح معلوم . على الرغم من هذا التفاؤل ، هنا يخلق الإنسان لنفسه هوّة بينه وبين العالم لا يمكن تجاوزها ، وهو دائمًا يركُض خلف العالم ، والعالم يهرُب منه ، ويريد أن يتطابق معه ، ولكن العالم لا يريد ذلك .[٤٠] وكامي بقي في دائرة العبث في هذا الوجود ، لأنّ الإنسان الذي يملك الوعي ، يظل لا يتطابق لا مع هذا العالم الذي يهرُب منه ، ولا يمكن أن يتطابق مع نفسهِ .. لهذا يظل يرى كامي الإنسان ذلك الكائن الذي يركُض خلف العالم .

فالمتواجد حسب هيدجر أُلقي به في – هذا - العالم ، وهذه النّظرة هي نظرة تشاؤميّة يائِسة من قِبَلِهِ، أي « المتواجد بحسب ماهيته هو الذي يبني العالم فهو يرتقي بالعالم وهو يتجاوَز الكائِن ، أي يخلصه من حالة الهيولى [المادّة] التي وجد فيها أصلًا ، وبمنحهِ الوجود ... دلالة الواقع ومعناه . إذ لا وُجود لوجوده دون المتواجد نفسه حتى وإنْ وجد الكائن . وإذن فإنّ ذات المُتواجد تنشأ عن عمليّة التجاوز هذه . فالمتواجد يصبح أثناء عمليّة السّمو الترنْسندنتالي هو الكائن لأنّ جوهره يقوم في مُزاولة عمليّة السّمو «.[٤١] أمّا كامي فرأى أن العالم يسير على غير هدى وهو نوع من التخبط والفوضى ، لذلك على الإنسان ، عندما يتقبل هذا العالم ، عليه أن يوجهه توجيهاً يؤدّي إلى إنسانيّة متفرقة .[٤٢] الانسان المتمرّد فالإنسان بمقدورهِ أن يحرّك العالم ويكون تحت سيطرتهِ .» وإذا أراد الإنسان أنْ يفهم العالم فمعنى ذلك أنّه بمحاولته تبسيط العالم سيجعله إنسانًا أو مفهومًا من الإنسان، بمعنى أنّه سيدخل العالم فيه ، سيترك عليه خاتمه. وليس عالم القط هو عالم النّملة « .[٤٣]

إنّ العالَمْ الذي نعيش فيهِ لا معقول ، ولكن اللامعقول أكثر منه هو أننا نواجه هذا اللامعقول ، وفي الوقت نفسِهِ يعتمد اللامعقول على إنسان مثل اعتماده على العِلم ، وهو بالتالي يربط بين الإنسان وبين العالم ، مثلما تربط الكراهية بين اثنين .[٤٤]

وأكّد كامي على مسألة أُخرى هامّة وهي أنّ الإنسان لا يمكن أنْ يعيش دون قيم ، والحياة جيّدة تستحق أن نعيش فيها ، فالإنسان يمكن له أن يثور على الاستغلال ، القهر ، الظّلم ، العُنف ....، لذلك فإنّ فلسفة الثّورة لها أساس أخلاقي .[٤٥]

ورأى كامي أنّ الإنسان والعالم هوّة ، والإنسان لا يتقبّل أن يتم تطابقه مع العالم ، ما يهم الإنسان في هذا العالم هو أنْ يحقق إرادته فقط ، لذلك هو يفعل ما تمليه عليه إرادته لذلك يكون في صراع وتصادم مع الآلهة (الدّين) ، من هنا تتشكل المأساة للإنسان . فالإنسان يُريد أن يعقلن العالم ، ولكن العالم كما يبدو لا يمكن عقلنته ، فالإنسان يملك حاسّيّة الأبسورد ، والحياة بنظر الإنسان عموماً بلا معنى ، لذلك يحاول أن يجعل لها معنى ويُعطي لها قيمة .[٤٦]

من هنا نجد أن كامي اختار الثّورة على هذا العالم ، الذي يؤمن أن لا عالم غير هذا العالم ، والشيء الوحيد الذي له معنى في هذا العالم هو الإنسان – على الرغم من جميع متناقضاته – فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يحاول أن يخلق لنفسه ولوجوده معنى ، فالعالم وحده هو الذي يحتوي حقيقة هذا الإنسان ، وقال عن نفسه .. من واجبنا أن ننصف الإنسان فيه أمام قدره ومصيره .[٤٧]

وقال في كتابه الإنسان المتمرّد : لم نكن موجودين ، ولكن يجب أن نكون موجودون ، عن طريق الثّورة ، التي هي محاولة لإيجاد كينونة جديدة لنا ، والعمل هو الوسيلة لبلوغ ذلك ، وليس للإنسان أي قيمة في التاريخ إلّا من خلال المجموع شاء ذلك أم كرِه.[٤٨]هنا اختلف مع هيدجر بموضوع الآخر، فهيدجر عدّ الانشغال والثّرثرة مع الآخر هو الابتعاد عن الحياة الاصيلة، أمّا كامي فرأى أنْ لا قيمة للحياة إلّا مع الآخر.

خامِسا - ظاهرة الموت الحتميّة ، والزّمن بين الفيلسوفين :

أ-لقد اهتم كل من هيدجر وكامي بفلسفة الموت philosophy Death واختلف الاثنان على نقاط واتفقا على نقاط ، لذلك سوف نركز على أهم أفكارهما . وإنّ موضوع الموت في فكر هيدجر أخذ حيّزاً واسعاً من اهتمامه ، ولم يتناول الموت هكذا بُصورة مجرّدة ، بل رَبطه مع مجموعة من المواقف والمفاهيم ، التي ساعدت على فهم مرحلة الموت التي يصل إليها الكائن البشري . والسّؤال الذي يطرح نفسه هل الموت هو السّقوط ؟ إنّ الموت عند هيدجر ليس « السّقوط « ، بلْ هو مفهوم لموضوع مثله مثل أي موقف تناوله في فلسفته .

اهتم هيدجر في فلسفته بِظاهرة الموت بطريقته الوجوديّة الخاصّة ، وحلل هذه الظّاهرة بشكل عميق وقاسي . وعدّ

الموت ظاهرة من ظواهر الحياة للبشريّة جمعاء، وقال في كتابه نداء الحقيقة « إنّ الحياة أسلوب وجود ، هذا الوجود مرتبط في الوجود - في - العالم -Being in – the world ، كما أن الموت هو بحد ذاته إمكانيّة عدم الوجود – في – العالم . وإن تفسير موت الكائن البشري – أَي موتي أنا – يتقدم على جميع التّفسيرات والتي نحاول عبثاً أن نفهم الموت من تجربة موت الآخرين ، وكذلك يتقدم الموت على جميع الملاحظات التي تجمعها علوم الحياة جمعاء مثل علم الطب ، وعلم النّفس ، وعلم التّاريخ ، وعلم الإنسان ، واللاهوت ..... .[٤٩]

والموت بالنسبة للإنسان ليس ظاهرة فقط ، بل حقيقة حتميّة ... والحيوان الوحيد الذي يعرف أنه كائن ميّت ، فنحن نقول أنْ الإنسان» نُذِرَ « للموت ، وفوراً يخطر في بالنا الوجودي « هيدجر « الذي أشار إلى أن الموت متصل باطنيًّا بالحياة ، والموت وحده يعطينا معناها الأصيل. وفي الغالب الأَعم يعبّر البشر خلال وجودهم عن الموت على أَنه مشهداً بعيداً لا علاقة له بحياتهم ... الإنسان معرّض للموت في اللحظة التي يأتي به إلى خضم الحياة ، فما أن يولد الإِنسان في هذا العالم ، حتى يصبح كبيراً بما يكفي للموت.[٥٠]

فالحياة العامّة التي نحياها مع الآخرين تعرّف الموت بوصفه حادثًا يقع كل يوم ... تتكرر كل ساعة ولا يصح أن تفاجئنا أو تشد إنتباهنا ... الناس يهوّنون من شأن الموت ، ويؤمّنون أَنفسهم منه ، ويقذفون به في حلق المستقبل البعيد قائلين : أَجل ! كلنا لها ... ولكن لا خطر منه الآن ! من ناحية هو مجهول يُصيب مجهولين ... ومن ناحية أُخرى هو حالة مألوفة ، وواقع متكرر ، لهذا يهربون منهُ ويحجبون طابع الإمكان الذي ينطوي عليهِ وما يتصل به من تولّد رهيب ينبع من انعدام كل عَلاقة واستحالة النجاة منه أو تخطيه . بهذا يحرمون الآنيّة من أَخص إمكانيات وجودها ... هكذا تَسقط الآنيّة في هذا الفهم اليومي الذي يصبح هروباً مستمرّاً منه .[٥١] في الحقيقية ، أن هيدجر فيما يتعلّق بالشّعور بِالموت ، على أساس أنه يعلم أنه سيموت ، لكنه يكف عن التّفكير بموته .. لأن الموت شيء مجهول وليس له موعد محدد لدى الإنسان ، وحتى الشّخص الذي يعلم موعد موته كالمُنتحر .. لا يفهم معنى موتِهِ .. على الرّغم من أنّ أغلبيّة النّاس يهربون من موتهم الذي يلاحقهم بِصورة حتميّة .

فعدَم تفكير الإنسان بِموته بِصورة متكرّرة سبب ذلك أنّ الموت بالنسبة له ، « مجرّد حدث خارجي ليس لنا عليه يدان! هذا إلى أن الموت لا يمثل ظاهرة تدخل ضمن ما تتداوله أَيدينا من موضوعات أو أَدوات فليس بِدعاً أن نرى الرّجل العادي يتجاهل هذهِ الظّاهرة بِوصفها واقعة لا محل لها في حياتنا اليوميّة العادية....إنّ كل إِنسان لا محالة ذائق الموت ، إلا أنّه يلقي هذه المعرفة بشيء من عدم الإكتراث ، لأنّه لا يجد في نفسه من الشّجاعة ما يستطيع معه أن يفكر في « موته « الخاص. فليس للموت موضع ضمن « إمكانيات « الرّجل العادي ، لأنه مندمج في عالم الأشياء...، دون أن يخطر على باله يوماً أن يتفهم حقيقة «وجوده من أجل الموت» «. [٥٢] إذن الإنسان عموماً في غفلة من أمره بشكل عام - حسب الفلاسفة الوجوديين - ، فهو لا يخطط إلى كيف يواجه مصيره المحتوم بِالموت .

بـ - ورأى كامي أن الزّمن من أَلد أعداء الإنسان فقال : إنّ الإنسان « يقف مكانه في الزّمن وهو يعترف أنّه يقف من الزّمن عند نقطة معينة على مُنحنى ، وهو رأى أنّ هذا المُنحنى يسير به حتى نهايته . إنّه ينتمي للزّمن ، ويمتلكه الخوف ، الفزع ، وفي تملّكه للخوف يعترِف هو نفسه أنّ الزّمن أعدى أعدائِهِ «.[٥٣] والمقصود هنا المنحنى يسير حتى نهايته ، هو الوّصول إلى حد الموت. فالموت هو النّقطة الأخيرة من السّباق ، ولكنْ الزّمن هو الحد الفاصل بين كائن وآخر للوصول إلى النّهاية .

يظهر لنا الموت على أنّه فقط حدث بيولوجي ليس إلا ، وبوصولنا إلى هذه اللحظة نخرج من هذا العالم ، عندها يكشف لنا وجودنا في - هذا - العالم . ولأننا كائنات محدودة في وجودنا ، نحن متجهين نحو الحرية « الموت هو الحرية « بالنسبة لنا . إنّ الإنسان خلال مسيرة حياته يفهم وجوده بطريقة خاطئة ، هذا الفهم هو نوع من المراوغة والمواربة ، يبعدنا عن تجربة القلق للوصول نحو الموت ، لأنّ القلق نفسه يكشف للكائن أنه يقف أَمام إمكانية موته ، وأمام طبيعة وجودهِ ، وبنية وجودهِ ، أي يكشف عن كل همه في هذا الوجود المؤقّت والملىء بِالقلق والمُعاناة .[٥٤] وهنا نجد أنّ هيدجر على عكس كامي . كامي عدّ الزّمن والموت أنهما يحطما الحريّة والإنسان معاً ، فالحريّة عقيمة لا تولد شيئاً ، ولا وجود لها في المستقبل. [٥٥]

ولحظة الموت عند هيدجر هي اللحظة التي يصل إليها الدّزاين (هي أعلى قمة يصل إليها) ، إذ ليس هناك أَعلى منها في الحياة ، فهذا الإمكان هو الذي تخضع له جميع الإمكانات التي تتحدد وتنتشر وتكون على استعداد لمواجهة الموت ، الموت بصفته إمكانيّة يختلف عن الإمكانات الأُخرى ، فهو كما عبّر عنه عدم إمكان ، بلْ وجود على الإطلاق ، والموت يأتي في آخر الإمكانات ، فإمكانيّة الموت تجعل من جميع الإمكانات غير ممكنة .

ولكنْ ما الإمكان ؟ الإمكان هو ضرب من الوجود ، على عكس ما هو معروف عنه ، أن الموت يعني اللاوجود ، أي الفناء . الإمكان لحظة الموت يستطيع به أن يختاره وأن يَسقط فيه ذاته . أحياناً نجد هيدجر قد شجّع فئة من الناس على طلب الموت ، ويثني على الإلحاح على طلب الموت وخصوصاً الذين يعانون من مرض ميؤوس منه للشّفاء . هذه اللحظة هي من لحظات الإمكان للموت ، هو يرفُضها من جهة، ولكنه يقبلها في بعض الأحيان لأسباب مُحددة ، كما ذكرنا، كما أنه رفض إمكانية الانتحار [٥٦] . فهيدجر هنا لم يؤكد على الانتحار نهائيّاً ولم يرفضه ، هو كان بين بين. أما كامي سنرى أنه رفضه بالمُطلق .

تناول كامي فكرة الموت من ناحييتين الأولى « الانتحار « suicide والثانية « التمرد « the Rebel ففكرة الانتحار رفضها رفضا تاماً ، وعدّ الانتحار أنه ليس هو النتيجة التي يتمناها الإنسان حسب رأيه ، وإن الإنسان بِالموت عن طريق الانتحار يرى كل شيء قد انتهى ، وبهذا يكون قد قتل اللامعقول ، فالإنسان إذا ظل حيّاً يبقى اللامعقول معه حيّاً ، وإذا فلت اللامعقول من الانتحار ، يكون بذلك الوعي في أَعلى درجاته، فاللامعقول هو بحد ذاتِهِ وعي الموت وهو رفضه .[٥٧]

إنّ الانتحار بِرأيه يعني الاستسلام للعبث (**الأبسورد**) وإنّ عظمة وجود الإنسان human being greatness لا تظهر بِالاستسلام للانتحار ، الاستسلام له نوع من الهُروب ، وفي الواقع لا توجد معايير مطلقة تسمح لنا بالإملاء على الإنسان كيف يعيش في هذا العالم .[٥٨] ويبدو أن كامي لا يتّفق على بعض حالات من الموت التي قال بها هيدجر - كالموت يخلّصنا من معاناة الآلام من مرض مزمن – أو ميؤوس منه . وقال كامي بالوجود اللامعقول .. إنّ هذا الوجود لا يتطلّب الانتحار ، لأنه حسب رأي كامي لا توجد

معايير لطريقة الحياة ، أي كيف نعيش. لهذا لا توجد معايير كيف نموت، لذلك لا يجوز الانتحار .

ورأى كامي « إنّ الإنسان يقتُل نفسه لأنّ الحياة لا تستحق أنْ تعاش ، هذه حقيقة مؤكّدة – لكنّها مع ذلك حقيقة لا جدوى منها لأنّها تِكرار لما سبق . لكن هذه الإهانة في حق الوجود ، هذا الإنكار التام ، يتأتى من واقعها أنّها بلا معنى ؟ هل لا معقوليتها تتطلب من الفرد أن يهرُب من خلال الأمل أو الإنتحار – هذا ما يجب أن يوضّح ، وأَن نتابعه ونبيّنه » .[٥٩]

ولكن هل من السّهل أنْ نكون منطقيين ؟ ومن المستحيل أنْ نكون منطقيين حتى النهاية الطريق المرة ؟... فالتفكير في الإنتحار يعطيني فرصة كي أَثير المشكلة الوحيدة التي تهمني وتهم أيضًا الآخرين : وهل هناك منْطق حتى في نقطة الإنتحار ؟ إنّني لا أستطيع أنْ أُتابع السّير بلا عاطفة وبِلا مغامرة ، وهذا هو ما أسميهُ المنطق اللامعقول . الكثيرون بدأوه - **أنا والآخرون** - ، لكن لا نعلم حتى الآن ما إذا كان يمكننا الالتزام به حتى النهاية .[٦٠]

كما أنّ كامي رفض إلى جانب الانتحار رفض « العلو « إذ يقول : إنّ الانتحار يسلُب الحياة ، وكذلك العلو هو سلب للحياة ، لذلك وحّد بين ركنين أساسيين هما : الوضوح والبراءة ، والأخلاق الأبسورديّة (اللامعقول) تقوم على هذين الركنين .[٦١]

من هنا رأى كامي أن وجودنا في الحياة هو وجود أمام أمرين : إما أن نلغي وجودنا أن ننتحر ، أو أن نُواصل العيش بهذه الحياة وبهذا الإدراك وأن نتكيّف مع هذا الأمر . الانتحار لا يؤدّي إلى أيّة نتيجة ولا يمكنه أن يُعالج أي قضيّة أبسورديّة في العالم ، ولا يمكنه أنْ يلغي لا معقوليّة هذا الوجود . فالانتحار هو قتل للذّات التي تُجرب اللامعقول . وقتل الذّات هي قضيّة فرديّة ليس لها أي أَثر في العالم .[٦٢]

سادسًا - التّمرّد ومعنى الاسْطورة واستحالة بُلوغ الكمال :

فكامي يخيّر نفسه أمّا الانتحار أو (**التّمرّد**) The Rebel ، إلا أنّه يختار التّمرّد ، فهو رفض مبدأ الانتحار ، ووقف منهُ موقفاً سلبيّاً وهنا في هذه النقطة يتفق بها مع هيدجر . فكامي يقف موقفًا تمليه عليه الضرورة المنطقيّة ، لذلك هو اختار حياة « **سيسيف** « الذي أصر على الإستمرار في حياته على الرغم

من صعوبتها .[٦٣] فسيسيف في الأُسطورة اليونانيّة قدّر له أن يحمل الحجر على ظهرهِ ويصعد أعلى الجبل، ألا إنّ الحجر ظل يسقط منه في كل مرة ، ليرجع مرة ثانية إلى حمله من أَسفل الجبل مرّات ومرّات إلى ما لا نهاية ، وتتكرر المأساة . عرض كامي في فلسفتِهِ أفكار غامضة ومجرّدة ، وهو لم يقدم لنا مُخطط مكتمل ، بل أنّ فلسفة التمرّد قائمة على القيم الأخلاقيّة وتنمية المسؤوليّة الأخلاقية .[٦٤] « وإنّ الموت هو الدليل القاطِع على أبسوردية الحياة « .[٦٥]

التّمرد والوعي لدى الإنسان هما عنصرا **اللامعقول** ، واللامعقول يمتص كل شيء للإنسان ، كما أن الإنسان نفسه اللامعقول يموت ، لكنه مُجبر على الموت ، فهو لا يموت من تِلقاء نفسه ، أو من إرادته ، واللامعقول مكان مليء بِالتوتر والقلق لأنّ الإنسان يعمل بِمفرده وجهده ، لأنّه يعرف أنّه في هذا الوعي ، وبهذا التّمرد ، يثبت وجوده .[٦٦]

ولكنْ من هو الإنسان المتمرّد ؟ المتمرّد هو الذي ظلّ طوال حياته يتلقى الأوامر ، ولكنه فجأة قرر أنّه لا يستطيع بعد الآن أن يطيع المزيد من الأوامر ، لذلك يجب أن يقول لا ، وعليه أنْ يضع حد للظلم ويقول لا لهذا الظُّلم ، ولكن هل يبقى لكلمة نعم مكان في ظِل هذا التّمرّد ؟ الجواب نعم ، توجد فقط عندما تكون العدالة ، وعندما يجد الإنسان نفسه بين حَدين أو مَوقفين ، إمّا أن يفكر لنفسهِ ، أو أن يفاضل بين القيم السائدة أو أن يخلق قيم جديدة له .[٦٧] « إن موقف [شخصيّة] سيسيف ... هو موقف الثّائر الذي يرفض ويُعلن رفضهِ ، ويحق عليه عِقاب الآلهة ، لأنّه جرؤ على تحدّي إرادتها ومَشيئتها ، وساوى بينه وبينها ، ورفع من شأْن الإنسان ليجعل منه إلهًا « .[٦٨] إنّ فكرة أُسطورة سيسيف حكم الزّمن اللامعقول على الإنسان أنْ يعيش متمرّد في هذهِ الحياة ، وقد حكم عليه بِالموت ، وأنْ يبقى في حياة اللامعقول . ومعنى العبثْ عند كامي لا يُكمن في الوعي الذّاتي الرّهيب ، ولكن في مواجهة مع العالم المادي - مع الأرض- ، واللامبالاة الشّديدة للبشريّة . لذلك نجدهُ قد بدأ من أُسطورة سيسيف بِنصيحة ، والسُّؤال الفلسفي الحقيقي الوحيد هو إذا ما كان يجب الانتحار كرد على هذا الكون (العالم) اللامبالي ؟ والإجابة الوحيدة هي لا ، ولكي نَعيش يعني أن نعيش مثل سيسيف ، ونتخيل أنّه سعيد ، والاسئلة التي طرحها مستمدّة من حياته اليوميّة ، كيف تكون سعيد على الرّغم من

أنك ستموت ؟. [٦٩] إنّ التّمرد هو الذي أعطاه صفة للإنسان ، والهدف من ذلك هو التّمرد في نهاية المطاف على الموت ويقول في كتابهِ الإنسان المُتمرّد : **التمرُّد قوة حياة** وليست قوة ممات ، ويدعو إلى وِحدة الوضع البشري ، فهو عن خلق وإبداع ، وينصب في خدمة العدالة ، وإنّ نتيجة التّمرد هو الإمتناع عن تبرير القتل ، لأن التمرّد هو بالأصل احتجاج على الموت .[٧٠] قدّم كامي فلسفة شبه متكاملة ، وتكلم فيها عن التمرّد الميتافيزيقي ، والسّياسي ، والتمرّد عنده لا يعني الثّورة ، بل هو خلافها . التمرّد احتجاج ضد الظُلم واليأس والعبث ، أما الثّورة ، فهي احتجاج ضد كل شيء ، وتكون على شكل عنف وحرب ودماء ، لذلك هو ضد الثّورة وأيّد التمرّد .

ولكنْ هذا الموت المليء بِالحزن والمأساة والغموض هو وحده القادر على كشف طبيعة « **المستقبل**" future ، فالموت هو النّهاية التي يستطيع الإنسان بها أن لا يكون له وجود . أمّا القلق فوظيفته أنْ يكشف لنا عن وجودنا ، بِصفتها موجودات متناهية ، خلقت لكي تموت، فالإنسان هو الوحيد من بينْ جميع الكائنات الذي يَدخل هذه التّجربة ليس من النّاحية البيولوجيّة ، إنما من ناحية العواطِف والمشاعِر، الكائن الوحيد الذي يعرف في صميمهِ أنّ لحياته نهاية ، فإمكانيّة الموت تدخل في صميم كينونته . إنّه تحدث عن الموت بصفة أنّ الفرد يتوقع موته من حين لحين ، ولكن بصورة قليلة ، أو أنّه يفكر هذا الحدث قبل حدوثه.[٧١]

فمهما طال وجود الكائن – في – العالم ، فإنّه لا يمكن له أنْ يبلغ كماله أبداً ، فماهيّته التي تشكّلت عبر السّنين تحوي نقص مستمر. والموت وحده يضع حد لِنهايته بعد أن يكمله. ولكن هل يمكن بالموت أن ندرك المتواجد على أنه موجود؟ بالطبع لا، فعندما يموت الآخر، المتواجد لا يشعر بالتجربة ، إن الموت هو نفسه الكينونة- في – الطّرف – القصي – للمتواجد . الموت هو إمكانيّة الكينونة ، وهذه الكينونة، الأكثر خصوصيّة للمتواجد ، لذلك هي الأصعب اجتيازها ، فكينونتنا وجدت من أجل الموت.[٧٢] وإن في أَساس هذا البحث البيولوجي – الأنطيقي antique(الكينوني) في الموت لتكمن إشكالية أنطولوجيّة . ويبقى علينا أنْ نسأل ، كيف تتعين ماهيّة الموت انطلاقًا من الماهيّة الأنطولوجيّة للحياة؟» .[٧٣]

في هذه النقطة يتفقْ فيها هيْدجر مع

كامي الذي يقول في كتابه أُسطورة سيسيف : المفارقة هنا أنّنا لن ندهش إذا اكتشفنا يوماً ما أنّنا قد عشنا وقت طويل ، ولكننا لم نكن ندري بالموت ، لأنّنا في الحقيقة كنا لا نملك أبداً ، ولن نمر بتجربة الموت ، دائمًا الإنسان يرى موت الآخرين ، ويتحدث عن تجربة الآخرين بالموت ، وتجربة الآخرين لا تعطينا خبرة عنه ، وما أراه وكأنّه وهمًا أمامي . وعندما أفزع من الموت هو فزع من الناحية الحسابيّة لحادثة الموت ، وكأنّ الزّمن هنا يخيفني .[٧٤]

سابعًا - الموت والهَمْ يُشكلان وجود الإنسان :

"لقد كشفتْ بحوث علم النفس منذ زمن بعيد أنّنا لسنا جميعاً متساوين في كل شيء، فليس لدينا جميعاً الدّرجة من الذّكاء، والقلق، والاندفاع [الخوف من الموت]... نحن جميعاً نخشى الموت Death ولكن بدرجات متفاوتة. وتطبيقاً للمبادئ السّيكولوجية العامة على هذا المجال، نقول إنّ» الخوف بدرجة مُنخفضة من الموت « أمر سوي وعادي تمامًا، وكذلك» الخوف من الموت بِدرجة متوسطة « على حين أنّ الخوف منه بِدرجة مرتفعة أمر غير سوي، أي أنّه علامة مَرضيّة شاذّة تدل على اضطراب انفعالي شديد».[٧٥]

لقد رُبط الموت مع الهم ، الهم الذي يشكل وجودنا اليومي (الدّزاين) . فالهم مثله مثل الموت هو ظاهرة معقدة في الحياة ، وينشأ من التوتر الدائم الذي يمر به الإنسان ، التّوتر القائم بين اندفاعات الإمكان في المستقبل ووقائعيّة الموقف الذي يلقى فيه . ويضف هيدجر إلى الموت والهم خاصيّة أُخرى هي السّقوط. إنّ « الدّزاين « في سُقوط دائم في هذا العالم ، وموجود دائماً وسط الهُمْ they ، والموت لا يمكن أن يفهم إلّا في علاقته باللحظات الثّلاث للهم ، وهي : اللحظة ، الإمكان والمُستقبل ، والواقع ، والسّقوط .[٧٦] «ولكن الهم هو الذي يربط الآنية بالعالم وبالآخرين. ولكنْ الهم هو وجود الإنسان ، والعالم يولد بِالنسبة إليه، وهو متوقّف على الهم. فسواء كانت تعرف، تحب، أو تفعل، لأنّ كليهما من إمكانيات وجودها « .[٧٧]

لذلك رأى كامي إنّ جوهر الوجود أو ماهيّة الوجود نفسه غير مفهوم ، يَعتريه الغموض واللبس ، ولا يمكن لأحد أنْ يعلم به ، فالوجود بحد ذاته مغلق على نفسه ، ولا يمكن لأحد النفاذ إلى داخله . لذلك الأبسورد يبدأ كتجرُبة وجدانيّة

فيقوم بمناقشتها وتشكيلها ، وفي النّهاية يحدّدها على أنّها تجربة ذهنيّة .[٧٨]

فالموت يكون في كل لَحظة من لحظات حياتي ، فهو لا يَكاد يفترق عن كينونتي وماهيّتي ، وما دامتْ حياة المُتواجد تسير نحو المستقبل ، فإنّها بذلك تسير نحو الموْت . الموْت يضع الإنسان أَمام وجوده الأُنطولوجي الخاص به وجهاً لوجه ، والإنسان هو تلك الأنا والتي لا يُمكن لأحد أنْ يوجد عوضاً عنها ، كما لا يمكن لأحد أنْ يأخذ على عاتقه مسؤولية وجودها . وإنّ مجرّد تفكير الإنسان بفكرة الموت هو بحد ذاته كفيل أن يعزله عن الآخرين وردّه إلى باطن وجوده وذاته ، وإن التّفكير بالموت كفيل أن يبعد الإنسان عن هموم الحياة ومشاغل الآخرين ، ففكرة الموت تمد الكائن البشري بالإطار الذي يستطيع به وفي داخله أن يضع جميع إمكانياته وطاقاته . كما أن فكرة الموت تستطيع أن تلقنه درساً هاماً خلاصته أن لحياته نهاية ، وفناء لوجوده . من هنا ذات الإنسان بإمكانها أن تدرك حقيقة وجود الموت ، لذلك هي تشعر بِتفاهة التّعلق بالحياة.[٧٩] وفي حالة الموت فإنّ كامي عاش هذه الفكرة في أَعماقه ، ونقصد فكرة الموْت ، التي تجعل الإنسان يشعر بالموْت ، وأنّ لحياتِه نهاية ، وقد كانت هذه النّهاية تطبيقاً لفلسفته .. وفي النّهاية هو نفسه غادر الحياة بحادث كان خُلاصة لحياته هو من حيث لا يدري .. .

هناك كثير من الاشياء اللامعقولة في هذه الحياة إلى جانب الموت ، مثل زيجات معقّدة ، كره معقد ، صمت ، حروب ، شر ، لا معقول .... .(٠١) ولكن « هل يفرض اللامعقول الموت كحتميّة ؟ هذه المشكلة لا بد أن نعطيها الأولويّة على ما عداها من مشاكل ، خارج كل منهج الفكر وبصرف النظر عن النشاطات الأخرى للعقل الذي لا يبالي بها كمشكلة ».[١٢]

ثامنًا - الوجود الأصيل والمزيّف ، والتّميّز عن الكائنات الأُخرى :

إنّ الفكرة التي أخذها العديد من الفلاسفة الوجوديّين ، ومنهم هيدجر هي التّفرقة التي أقامها بين الوجود المزيّف والوجود الأصيل ، من هنا أنّ الآنيّة هي التي تُقرر أُسلوب تواجدها ، عن طريق اختيارها ، فقد يتم الاختيار على نحو يمكّن الآنيّة من بلوغ ذاتِها ، وتحقيق إمكانيّاتها ، أو قد يتم بشكل آخر إذ يملي الاختيار عليها وتَحيا كما يَحيا جميع الناس **حياة زائفة** false life.

إنّ معنى الآنيّة يشير إلى معنى (**الموجود هناك**) located there أي الكائن الملقى في هذا العالم ، الموجود فيه ، قريباً من الأشياء والناس ، المتميّز عن جميع المخلوقات من جهة علاقته بِالوجود . وإذا ما أردنا أن نسأل ما الوجود ؟ فردّنا يكون أننا لا نعرفه ، فجميع الموجودات كالحجر والشّجر والبيت ... كلها توجد ، والإنسان أيضاً يوجد ، ولكن وجوده يختلف عن وُجودها ، فهو في علاقة دائماً مع ذاته ومع الموجودات . لذلك عليه أن يكون مُتواجداً دائماً ، وأنْ يتحمل مسؤوليّة هذا الوجود . لذلك من الجَدير أن نطلق عليه كلمة الآنية instanta-neous . إنّ هذا الوجود النوعي المنفرد للإنسان ليس وجوداً بَسيطاً ، بل عليه أنْ يعرف بنيته ويتحمل مسؤوليّة كي يصل إلى الوجود الأهم وهو « **الوجود الأصيل** » تاركاً الوجود الزّائف الذي يُرافقه في جميع مراحل حياتهِ اليوميّة مُستغرقاً فيه [٨٢].

هذا الوجود غير الأصيل الذي يلقي ظله علينا ، ويحاول دائمًا أن يمدنا بالرّاحة والعزاء ويخفي عنا الموت ، لن يتعذر علينا تبين ملامح هذا الوجود اليومي للموت . لأنّنا سنهتدي فيه بما عرفناه من قبل عن « النّاس» الذين يكوّنون الرّأي العام ويعبّرون عن أنفسهم باللغو والثرثرة chat . إنّ للنّاس أيضًا فهمهم للوجود من أجل الموت . فكيف يفهمونَه ويثرثرون حوله ؟.[٨٣]

ولكنْ ماذا يقصد هيدجر بالحياة الأصيلة ؟ إنْ نوعية الحياة التي يعيشها الإنسان هي التي تحدد إذا كان يعيش حياة أَصيلة authentic life أَم زائفة . فمثلاً إنّ الآنيّة التي تحيا حياة غير أصيلة تتخلى عن هذه المسؤوليّة وتترك لغيرها أَن يملي عليها إِمكانياتها ، وتسمح « للمجهول « الذي نسميه « النّاس « أو « الجمهور « أو « الرأي العام « أن يفرضها عليها أو يوقعها في شباك إغرائها . فالإنسان مثلاً يلعب الرّياضة ويُشاهد التلفاز ويدرس ويتزوج ... فهذه الحياة تسمّى حياة التّوسط بين النّاس التي تأسره وتسحره فيتوهم أنها هي الحياة الأفضل ، ولكنّها هي في الحقيقة الحياة الزّائفة ، ففيها لا نكوّن أَنفسنا .[٨٤] الموجود البشري عندما يواجه حدوده وبالأخص مَوته ، هنا يسميه هيدجر الوجود الأصيل Existence original ولكنْ بعد ذلك الإنسان يتخطى التّفكير بِالموت ويصبح ضحيّة القلق anxiety.[٨٥]

الانشغال مع الآخر هو الذي رفضه

هيدجر ، لأنّ الانشغال يبعد الكائِن عن القلق ، فالقلق عدّه هيدجر الوجود الأَصيل في – هذا – العالم . وإنّ الوجود الأصيل للموْت يدل على إمكانيّة الوجود الأصيل للآنيّة . فما هي الشّروط الوجوديّة لهذه الإمكانيّة ؟

« الموت إمكانيّة وجود للآنية ، أو هو بالأحرى أعلى إمكانيّات هذا الوجود وأشدّها خصوصيّة وتفرّداً. وهو يختلف عن إِمكان وجود شيء من الأشياء التي تكون تحت تصرفنا وفي متناول أَيدينا ، أو نجدها حاضرة أمامنا . والآنية تسلك إزاءه مسلك الانتظار والتّوتر والترقب لإمكانيّة ستقع يقيناً ، ولكنْ في وقت غير معلوم . ولهذا سنصف الوجود – للموت (الذي علينا أنْ نتحمله ونواجهه وندخل في حوار دائم معه) بأنّه استباق إلى الإمكانيّة ... إمكانيّة كل وجود ... . وهي تتضخم وتزداد هولاً مع الاستباق إليها « .[٨٦]

اتفق كامي مع هيدجر في مسألة أن الإنسان قذف به في هذا العالم وقال : الظواهر غريبة والعالم غريب « والإنسان فيه قد أُلقي به وسط كل هذه الغُربة ، وترك . وأُهمل . كأنّما هو موجود بالصّدفة . أو كأنّه والعالم من حوله حلم أو كابوس كأنّه عرض . إن الإنسان عرض . والوجود عرض . وأنا هنا ولم أطلب أن أكون هنا . أنا هنا مضطر . رغم إرادتي « .[٨٧]

ولكن كيف ألقي به في – هذا – العالم ؟ رأى هيدجر الإنسان مرمى به في العالم بالصّدفة ، في زاوية منسيّة ، وذلك يكون مع وهم المستقبل ، ودائماً دائماً ، الغصّة مؤلمة أمام الإنسان ألا وهو « الموت « . لذلك فالوجود الإنساني مرتبط بالعالم ببنيته ، فهو كائن في العالم ، ولكنه أحياناً ينسى ذلك بسبب إنشغاله بالحياة اليوميّة ، فهو يتحدّى ويتصارع مع الآخرين للوصول إلى هدف ما ، وينسى نفسه وآنيته ، إلى أن يواجه الموت وجهاً لوجه وينغمس به وإلى الأبد دون رجعة .[٨٨]

ولكن متى يشعر الإنسان أنه قذف به في – هذا – العالم ؟ القلق ، هو خير مؤشّر على هذا الشعور ، وأنه خلّي بينه وبين ذاته ، وأنه مهجور ، ليس هناك من يدعمه ، ولا توجد أي قوّة عليا عليه تعينه على هذا الوجود وهذا المصير – حسب هيدجر . إن القلق هو شعور غامض ، مبهم ، لا يمكن تحديد مصدره ، فالقلق ليس بموضوع ما ، ولكن له صفة ملاصقة له وهي « العدم « الكامن وراء وُجوده ، ما يميّز القلق عن الخوْف

، أن له فاعليّة باطنة هدّامة .[٨٩] لذلك وجدنا أنّ هيدجر بدأ بوصف الوجود الإنساني وعلاقته الوثيقة بِالعالم ، ولكنه أَنهاها بشكل دراماتيكي حزين sad مليء بالقلق والخوف اليأس.

دعا كامي أنّ الإنسان يعيش الحياة في « إمتلاء « ، لذلك على الإنسان أن يمتلك الشّجاعة والذّكاء . في الشّجاعة يستمر في الحياة دون أمل في خلاص روحي ، أما الذّكاء ففيه نبدد أَوهام الإنسان التي ينسجها حول حياته مادام الفناء يَتهددها في كل لَحظة . وإنّ وعي الأبسورد ، هو شرط من شروط الحريّة freedom، أما الشّرط الثاني هو الموْت ، لذلك فوعينا بِأننا مخلوقات فانية ، هذا الوعي بالموت يحررني ، ويجعلني أَشعر بالحرّيّة ، وأحس بها بِصورة عميقة ، فإحساسي بأنّني سوف أموت لم يعد للأشياء من حولي أية أهميّة . البير كامي وإنّ مبدأ الامتلاء هو دليل وعي بالموت ، لذلك ليس علينا أن نعيش كما يرغب الآخرون ، بل عليّا أن أعيش كما أحب أنا ، عليّ أن أعيشها بوعي كامل لحظة بلحظة من بدايتها حتى نهايتها . فليس هامّاً ما نوع الحياة ؟ ، إلهام فقط هذه الآنات (اللحظات) التي يجب أنْ نعد الثّواني التي نعيشها . [٩٠] وإنّ الوعي بِالموت من بعض الأشخاص وقبول الفناء ، يدل على أنّ للوجود البشري نهاية وحدود وإدراك ، ولكن الحدود يمكّن الدّزاين من التّفكير في جميع الوجود البشري بوصفه كلاً متناهياً .[٩١]

وإذا ما أردنا لأنفسنا أنْ نصل إلي مَرتبة « الوجود الأصيل « ، فلا بد لنا أن نرجع دائمًا إلى ذواتنا ourselves ، ونتحمل مسؤولية وجودنا بأنفسنا . حقًا إن « إمكانية التهرّب « هي إمكانية خاصة بالإنسان ولا يشاركه أَحد فيها من الكائنات الأُخرى ، ولكنّها في الوقت نفسه إمكانيّة تقضي على شعورنا بِذواتنا ، وإدراكنا لمعنى وجودنا ، وتضع الإنسان أمام الإختيار وجهًا لوجه ليختار الاختيار الأصيل الحاسِم .[٩٢]

وكان لكامي موقفاً واضحاً تجاه رأي العقيدة المسيحيّة التي تقول : إنّنا نجد الأمل في الموت أكثر ما نجده في الحياة . فهذهِ الفكرة لم تعجب كامي ، فالتناقض هنا أن نجد الأمل في الموت الذي هو نقيضه ، إذ لا يمكن أن يلتقي النقيضان ، والإيمان بهذا الكلام تجاوز لحدود طاقتنا البشريّة . وهذا شيء فوق أنسانيتنا ، فتجربة الموت لم يحدث أن أحداً من البشر قد أكّدها ، وهذا الكلام عن هذه التّجربة يزيد عن طاقتي ، وإذا لم أكن

أَرفضه فأنا على الأقل لا أَجده مُصدقًا .[٩٣] وهنا في هذه الفكرة أيضًا اختلف بها مع هيدجر. فهيدجر سبق وأن قال أن وجود الإنسان الأصيل لا يمكن للفرد أن يحققه إلا بالموت. وإنّ سارتر وألبير كامي أتفقا مع هيدجر من هذه النّاحية . فالموت هو الذي يشكّل أخيراً نهاية الإنسان ، ففكرة الموت سيطرة على تفكير جميع الفلاسفة الوجوديين ، إلا إنّهم هم أنفسهم بحثوا عن ضرب من الحياة الأزليّة ، وسط الزّمانيّة ، فقد سعوا إلى تجاوز العاقب الزائل للوجود البشري .[٩٤]

إنّ فكرة ما بعد الموت عنده هي فكرة ميتافيزيقيّة ، ولكن وعلى الرّغم من هذا الكلام لـ هيدجر عن الموت ، ألّا إنه رفض أي مناقشة لإمكان وجود ما وراء الموت ، فقد رفضه رفضًا كليّاً .[٩٥] الحياة تجربة وما دمنا وجدنا فيها فلنجربّها بِحلوها ومرّها .

الخاتِمة :

حاول البحث بيان موقفي هيدجر وكامي من فكرة القلق والوجود والموت ، ووجدا أنّ الإنسان يعيش وجودًا لا معقولًا . وإن القلق الوجودي أصيل في هذا العالم ، وتوصّلا إلى أن الإنسان ألقي به في العالم دون إرادته . ومن خلال تتبعّنا لفلسفتهما الوجوديّة توصلنا إلى النتائج التاليّة :

- رأى هيدجر أنّ القلق عنصر أَصيل في وجودنا ، والقلق موجود في كل حياتِنا .. وإذا ما وجد في الإنسان كشف عن العدم ، إذنْ العدم يشكّل صميم وجودنا إلى جانب القلق . أمّا كامي فقد عبّر عن القلق بأُسطورة سيسيف ، إذ الإنسان يسكن القلق « إنّه إنسان لا معقول « (الأبسورد)، والقلق يجعلنا نشعر بالخطر يهدد وجودنا .

- من طبيعة الإنسان عند هيدجر « الانشغال «، وهو الذي يبعدنا عن الوجود الأصيل ، فالحياة اليومية تافهة ، يقضيها الإنسان بِالثرثرة ، أمّا عند كامي فالوجود أصلاً يتّصف بِالغموض .

- إن وجود الإنسان عند هيدجر ليس

وجودًا واقعيًّا ، إنّما هو وجود معنوي ، فالعقل يعجز عن فهم العالم ، بينما كامي لا يؤمن بالعقل أصلاً ، فالعقل نفسه لا معقول ، لذلك فلحياة ليس لها معنى، وهنا رأي تشاؤمي .

- إن وعي الإنسان نحو العالم يختلف عن وعي الكائنات الأخرى في العالم ، أما كامي فقد قال بالأبسورد (اللامعقول) هو الذي يربط بين الإنسان والعالم ، لذلك فالوجود عنده غير قابل للفهم .

- أمّا حول العالم الخارجي ، فقد رأى هيدجر أنّ هذا التّصوّر كلام لا مَعنى له ، لأنّه لا يوجد انفصال بين الإنسان والكون . أمّا كامي فرأى أنّ الإنسان عندما يقترب من فِهم العالم يقلل من الغموض تجاه العالم .

- إنّ العالم عند كامي غير معقول ، ولكنّنا نعيش فيه ، لذلك لا يمكن أن نعيش فيه دون قيم ، ومن ثمّ الثورة على القهر والظّلم ، على الرّغم من أن الإنسان يريد أن يجعل العالم معقولاً ، ولكن ذلك مُستحيل ، لذلك هناك خطر يَأتينا من العالم اللامعقول ، ألا وهو القلق .

- أمّا الهم أو الانشغال ، ففيه الشّعور الحقيقي بِالقلق ، وهيدجر يقصد بالهم في حياتنا الاجتماعيّة ، إذ يؤدّي بنا إلى أنْ نشعر بِالقلق الوجودي الأصيل ، لذلك فالقلق لا ينتهي ، بل يظل غائباً وراء ظاهرة الهم ، أو جرّاء انشغالنا بالحياة اليوميّة .

- الموت عند هيدجر ليس شيئًا من وقائع الحياة ، الموت حتمي ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعلم أنّه سيموت . إذن الموت عنده ، أصلاً ، موجود في كل لحظة من الحياة .. والموت له معنى أصيل ، لأنّه متصل باطنيّاً بالوجود الإنساني – أي حياته .إذن الموت متغلغل في وجوده منذ مولده إلى مغادرة حياته . وعند هذه الفكرة يتّفق كامي مع هيدجر . والزّمن هو من أَعداء الإنسان ، لأنّ الزّمن يسير بوجود الإنسان إلى نهايته .

- والنّتيجة النّهائيّة لوجودية الفيلسوفين هي : أنّ العالم غير قابِل للتّفسير ، وأنّ هناك فجْوة بين الإنسان والعالم لا يستطيع اجتيازها .

الهوامش:

١. عبد الخالق ، أحمد محمد : قلق الموت ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عدد ١١١، الكويت ، ١٩٨٧، ص ٢٥.

٢. ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، ج١ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٨، ص٤٠٩.

٣. هيدجر ، مارتن : ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلديرلن وماهيّة الشّعر ، ترجمة فؤاد كامل ، محمد رجب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٤، ص١١١-١١٢.

٤. عبد الخالق ، أحمد محمد : قلق الموت ، ص٢٥.

٥. المرجع نفسه ، ص٣٠.

٦. هيدجر ، مارتن : ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلديرلن وماهيذة الشّعر، ص١١٢.

٧. عبد العزيز ، فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون ، الدار القومية للطّباعة والنّشر ، القاهرة ، مصر ، د ت، ٣٢.

٨. بوخنسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبّا ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، مؤسسة الفرجاني ، طرابلس، ليبيا، دت ، ص٢٦١.

٩. ماكوري ، جون: الوجوديّة ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، مصر، ١٩٨٦، ص٢٤٤.

١٠. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ترجمة عبد المنعم الحفني ، الدّار المصريّة ، القاهرة ، مصر ، د ت، ص٣٥.

١١. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، فنه ، دار الفكر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٣، ص١٥٧.

١٢. عبد العزيز ، فؤاد كامل : فلاسفة وجوديّون ، ص٣١.

١٣. بوخنسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبّا ، ص ٢٥٦.

١٤. ابراهيم ، زكريا : دِراسات في الفلسفة المعاصرة ، ج١، ص٤٠٩.

١٥. ماكوري ، جون : الوجوديّة ، ص٢٤٥.

١٦. هيدجر، مارتن : نداء الحقيقة ، ترجمة عبد الغفار مكّاوي ، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، القاهرة ، مصر، ١٩٧، ص١٠٩-١١٠.

١٧. عبد العزيز ، فؤاد كامل : فلاسفة وجوديّون ، ص٣٢.

18.Michael Gelven : A commentary on Heidegger's being and times, Northern illionis university press , Dekaib.illionis ,p.36.1989.

١٩. مهران رشوان، محمد :مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٢، ص١١٠.

٢٠. هيدجر ، مارتن : الكينونة والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني ، بيروت ، لبنان ، ط١، دار الكتاب الجديدة المتّحدة ، ٢٠١٢، ص٣٨٨.

٢١. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص١٣٣.

٢٢. ماكوري ، جون : الوجودية ، ص٢٧٧.

٢٣. ابراهيم ، زكريا : دِراسات في الفلسفة

المعاصرة ، ج١، ص٤٠٢.
24.paul Gorner : Heideggers Being and time an introduction ,Cambridge university , united, press Cambridge Londone,p56. 2009.
٢٥.كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص٣٥.
٢٦.ابراهيم ، زكريا : دِراسات في الفلسفة المعاصرة ، ج١، ص٤٠٢.
27.paul Gorner : Heideggers Being and time an introduction,p.35.
28.Michael Gelven : A commentary on Heidegger's being and times,p57.
٢٩. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص١٤٧-١٤٨.
٣٠. هيدجر ، مارتن : نداء الحقيقة ،ص٥٩.
31.Michael Gelven : A commentary on Heidegger's being and times,p.57.
٣٢. هيدجر ، مارتن : نداء الحقيقة ،ص٦٥.
٣٣. كامي ، ألبير : أسطورة سيسيف ، ص١٠.
٣٤. المصدر نفسه ، ص٩.
٣٥. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص١٣١.
٣٦. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص٢٦.
٣٧. المصدر نفسه ، ص٣١.
٣٨. ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، ج١، ص ٤٠٤.
٣٩. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص٨.
٤٠. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ،ص١٣٢-١٣٣.
٤١. بوخنسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبّا ، ص٢٦١.
٤٢. كامي ، ألبير ، الإنسان المتمرّد ، ترجمة نهاد رضا ، منشورات عويدات ، ط٢، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠، ص١٠١.
٤٣. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص ٢٨.
٤٤. المصدر نفسه ، ص٣٢.
45.Copleston Fredderick S.J : A history of philosophy modern , philosophy :from the French revolution to Sartre , Gamus ,and Levi-struss , Image books Doubleday- London ,Volume ix , 1974,p.97.
٤٦. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص١٤٣.
٤٧. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص ٣١.
٤٨. كامي ، ألبير : الإنسان المتمرّد ، ص٣١٢.
٤٩. هيدجر ، مارتن : نداء الحقيقة ، ص٨٦.
٥٠. درورا ، روجيه بول : فقه الفلسفة ، ترجمة فاروق الحميد ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، دمشق ، سوريا،٢٠١٤، ص٣٥٦-٣٥٧.
٥١. هيدجر ، مارتن : نداء الحقيقة ، ص ٨٧.
٥٢. ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، جـ١، ص٤١١.
٥٣. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص ٢٥.
٥٤. درورا ، روجيه بول : فقه الفلسفة ، ص٣٥٧.
٥٥. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص ١٦٢.

٥٦. ماكوري ، جون : الوجوديّة ، ص٢٨٤-٢٨٥.

٥٧. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص ٦٤.

58.Copleston Fredderick S.J :A history of philosophy modern , philosophy :from the French revolution to Sartre , Gamus,p. 393.

٥٩. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص٢٠.

٦٠. المصدر نفسه ، والصفحة .

٦١. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص ١٥٢.

٦٢. المرجع نفسه ، ص١٤٨.

٦٣. المرجع نفسه ، ١٤٩.

64.Copleston Fredderick S.J :A history of philosophy modern , philosophy :from the French revolution to Sartre , Gamus,p.369.

٦٥. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص ١٢٥.

٦٦. كامي ، البير : أُسطورة سيسيف، ص٦٥.

٦٧. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص ١٨٣-١٨٤.

٦٨. كامي ، البير ، أُسطورة سيسيف، ص ١٤١.

69.Alice Kaplan: Looking for the stranger , «Albert Camus and the life of a literary classic», Chicago and London , 2016 ,p.59.

٧٠. كامي ، ألبير : الانسان المتمرّد ، ص ٣٥٣.

٧١. ابراهيم ، زكريا : دِراسات في الفلسفة المعاصرة ، جـ١، ص٤١١.

٧٢. بوخنسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبّا ، ص ٢٥٦.

٧٣. هيدجر، مارتن : الكينونة والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني، بيروت، لبنان ، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٢، ص٤٤٦.

٧٤. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص٢٦-٢٧.

٧٥. عبد الخالق ، أحمد محمد : قلق الموت ، ص١٩.

٧٦. ماكوري ، جون : الوجودية ، ص٢٨٤.

٧٧. بدوي ، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ط١، جـ٢، بيروت، لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٤، ص٦٠٥.

٧٨. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص ١٣٣.

٧٩. ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، جـ١، ص ٤١٢-٤١٣.

٨٠. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص ٤١.

٨١. المصدر نفسه ، ص ٢٠.

٨٢. هيدجر ، مارتن : نداء الحقيقة ، ص ٥٠-٥١.

٨٣. المصدر نفسه ، ص٨٧.

٨٤. المصدر نفسه ، ص ٥٣.

85.The Encyclopedia of philosophy: Paul Edwards, Editor in chief, V3, press New York collier-macmillan limited, London , 1967,p.151.

٨٦. هيدجر ، مارتن : نداء الحقيقة ، ص ٨٩.

٨٧. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص ١٣٦-١٣٧.

٨٨. برهيه ، إميل : القضايا الفلسفة المعاصرة ، ترجمة حنا بولس الشاعر ، دار الطليعة ، ط١، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣، ص٥١.

٨٩. ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، جـ١، ص ٤٠٩.

٩٠. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، ص ١٦١-١٦٢.

٩١. ماكوري ، جون : الوجودية ، ص ٢٨٥.

٩٢. ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، جـ١، ص ٤٠٨.

٩٣. كامي ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ص ٥٠.

٩٤. ماكوري ، جون : الوجودية ، ص ٣٦٢.

٩٥. شورون ، جاك : الموت في الفكر الغربي ، ترجمة كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨٤، ص٢٥٢.

المصادر والمراجع :

١. ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، جـ١ ،مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٨.

٢. الحفني ، عبد المنعم : ألبير كامي « حياتهِ ، أدبهِ ، مسرحياته ، فلسفته ، فنه ، دار الفكر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٣.

٣. برهيه ، إميل : القضايا الفلسفة المعاصرة ، ترجمة حنا بولس الشاعر ، دار الطليعة ، ط١، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣.

٤. بوخنسكي : تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبّا ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، مؤسّسة الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا، د ت.

٥. دورا ، روجيه بول : فقه الفلسفة ، ترجمة فاروق الحميد ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، دمشق ، سوريا ،٢٠١٤.

٦. شورون ، جاك : الموت في الفكر الغربي ، ترجمة كامل يوسف حسين ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨٤.

٧. عبد العزيز ، فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، د ت.

٨. عبد الخالق ، أحمد محمد : قلق الموت ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عدد ١١١، الكويت ، ١٩٨٧.

٩. كامو ، ألبير : أُسطورة سيسيف ، ترجمة عبد المنعم الحفني ، الدار المصرية ، القاهرة ، مصر ، د ت.

١٠. كامي ألبير ، الإنسان المتمرّد ، ترجمة نهاد رضا ، منشورات عويدات ، ط٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠.
١١. ماكوري ، جون : الوجودية ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦.
١٢. مهران رشوان ، محمد :مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، ١٩٩٢.
١٣. هيدجر ، مارتن : نداء الحقيقة ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧.
١٤. هيدجر ، مارتن : الكينونة والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني ، بيروت ، لبنان ، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٢.
١٥. هيدجر ، مارتن : ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلديرلن وماهيّة الشعر ، ترجمة فؤاد كامل ، محمد رجب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٤.
١٦. هيدجر ، مارتن : الكينونة والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني ، بيروت ، لبنان ، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠١٢.

المراجع الاجنبية :

1.Michael Gelven : A commentary on Heidegger's being and times, Northern illionis university press , Dekaib.illionis ,1989.
2.Alice Kaplan: Looking for the stranger , »Albert Camus and the life of a literary classic«, Chicago and London , 2016 .
3.paul Gorner : Heideggers Being and time an introduction ,Cambridge university , united, press Cambridge Londone 2009.
4. Copleston Fredderick S.J :A history of philosophy modern , philosophy :from the French revolution to Sartre , Gamus ,and Levi-struss , Image books Doubleday- London ,Volume ix , 1974.

الموسوعات :

١- بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ط١،ج٢، بيروت، لبنان، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر،١٩٨٤.
2- The Encyclopedia of philosophy: Paul Edwards, Editor in chief, V3, press New York collier-macmillan limited, London , 1967.

Existence - anxiety - death - in - the world Between Heidegger and Gamus

Assistant Professor/ Hanan Ali Awada
University of Baghdad/College of Art

abstract

The idea of research is about existence, anxiety and death of Heidegger and Gamus, as this attribute has permeated a person's life, and a person is thrown into this world. As for anxiety, it reveals the existence and introduces us to this unreasonable world, and viewed existence with a pessimistic view. As for interpretation, he linked it to worry, both of which are a complex phenomenon.

He viewed existence in a less pessimistic view than Heidegger, and although consciousness is present in the world, as for Kami's anxiety, the twentieth century, it is a century of " anxiety and fear " , and Heidegger agreed with Heidegger that death in the end constitutes the end of life.
Keywords: death, absurdity , anxiety, existence, rebellious, human being , the other, the world, design.